الفصل الثالث

الدلالة الزمنية الذاتية للأفعال الناقصة

* كان والدلالة على الماضي.
* كان والدلالة على الحاضر.
* كان والدلالة على المستقبل.
* كان والدلالة على الزمن العام.
* يكون ودلالاتها الزمنية الذاتية المختلفة.
* كن ودلالاتها الزمنية الذاتية المختلفة.

الدلالة الزمنية الذاتية للأفعال الناقصة

لما كانت الأفعال الناقصة تفتقر الى الحدث، وتتمتع بطاقة زمنية رأينا أن نقف عند صيغها المختلفة عندما تكون مفردة ومبتدأها وخبرها اسمين في نحو قوله تعالى (كان الناس أمة واحدة) وسنرى أن هذه الصيغ تحمل في ذاتها أبعادا زمنية مميزة وخصوصيات معينة. جاء في شرح الكافية في موضوع الدلالة الخاصة لهذه الأفعال الناقصة": ومن قال بعضهم من أنها سميت ناقصة لأنها تدل على الزمان دون المصدر ليس بشيء، لأن كان من نحو (كان زيد قائما) يدل على الكون الذي هو الحصول المطلق، وخبره يدل على المخصوص، وهو كون القيام أي حصوله فجيء أولا بلفظ دال على حصول ما، ثم عين الخبر ذلك الحاصل، فكأنك قلت حصل شيء ثم قلت حصل القيام، فالفائدة في ايراد مطلق الحصول أولا، ثم تخصيصه، كالفائدة في ضمير الشأن... مع فائدة أخرى ههنا، وهي دلالته على تعيين زمان ذلك الحصول المقيد... ولو قلنا "قام زيد"، لم يحصل هاتان الفائدتان معا(1)، أي أن كان تدل على حدث عام مطلق بالاضافة الى دلالتها على الزمان المخصوص، ويرى بعض الباحثين المعاصرين أن هذه الأفعال لاتختلف عن أفعال العربية الأخرى في شيء من العناصر الفعلية، وهو الدلالة على الحدث المقترن بزمان ما. وكل ما في الأمر أنها أفعال تطورت في الاستعمال حتى صارت لاتكتفي بفاعلها كما هي الحال في كان "التامة" بل أصبحت تفتقر الى المنصوب المكمل للمعنى الذي يقتضيه المعنى الجديد(2) ونحن لايسعنا الا القول أن هذه الافعال تصلح اطار عاما يترجع عليه الزمن ويتحدد فيه، فهي أحداث عامة تحمل الزمان وتقترن به. ولذلك جاءت الافعال الناقصة في القرآن الكريم ذات دلالة زمنية خاصة بحيث يطغى

1 – شرح الكافية في النحو للرضي 290/2 والفعل زمانه وأبنيته للدكتور ابراهيم السامرائي /57 56 بتصرف.

2 - المقتضب للمبرد 167/3.

المعنى الزمني فيها على المعنى المعجمي، وتتنوع الدلالة الزمنية لهذه الصيغ في القرآن الكريم حسب تركيب الجملة التي ترد فيها، وحسب الادوات التي تسبقها أو تلحقها كما تتوقف الدلالة الزمنية على السياق الذي ترد فيه.

"كان" والدلالة على الماضي :

يكاد يجمع النحاة على "أن كان" تدل على الزمن الماضي مالم يوجد ما يصرفه بها لغير الماضي، فهذه الصيغة المفردة تفيد ما مضى وما لم يقع(1).

فاذا قلت كان عبدالله أخاك، فانما أردت أن تخبر عن الأخوة، وأدخلت "كان" لتجعل ذلك فيما مضى(2)، واذا ادخلت "كان" على قولك "زيد منطلق" فانما فعلت ذلك لتجعل ذلك فيما مضى(3) لأن كان تفيد ثبوت خبرها مقرونا بالزمن الذي تدل عليه صيغة الفعل الناقص اما ماضيا واما حالا واما استقبالا وكان للماضي ويكون للحال والاستقبال، ومن أمثلة "كان" الدالة على الماضي في القرآن الكريم قوله تعالى : «أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعينها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك»(الكهف18/82,81,80,79).

حيث جاءت وكان ماضية لفظا ومعنى في قوله تعالى (كانت لمساكين) (كان وراءهم ملك) (كان أبواه مؤمنين) (كان لغلامين)، (كان تحته كنز لهما)، (كان أبوهما صالحا) وانما كانت ماضيه لأنها جاءت في سياق قصصي أولـه

---

1 - الكتاب لسيبويه 45/1.

2 - المقتضب 86/4.

3 - شرح الكافية للرضي 293/2.

قوله تعالى : «واذ قال موسى لفتاه لاأبرح حتى أبلغ مجمع للبحرين وامضي حقبا»(الكهف60/8).

ولقد أسهب المفسرون في شرح قصه التقاء سيدنا موسى بسيد الخضر ومما قالوه : أن سيدنا موسى عليه السلام قال لسيدنا الخضر لأفارقك حتى تخبري فقال له : فأما السفينة فكانت لعشرة اخوة، خمسة زمني، وخمسة يعملون في البحر... وكان وراءهم ملك(1)... الى آخر شرحهم للآية مما يبين أن "كان" التي تكرر ذكرها في هذه الآيات جاءت دالة على أحداث ماضية محكيّة. ومنه قوله تعالى : «وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة»(النحل112/16) حيث جاءت "كان" في قوله تعالى : «كانت آمنة مطمئنة حالة على الماضي، حيث أن القرية التي ضرب بها المثل في مكةالتى كانتلاتعزي ولايغار عليها، والارزاق تجلب اليها وأنعم الله عليها بالرسول صلى الله عليه وسلم فكفرت فأصابها السكون والخوف، وسرايا الرسول وغزواته فضربت مثلا لغيرها(2) وقد فسر بعضهم هذه الآية بما يدل على أن كان لم تختص بزمان معين، اذ يذهب الزمخشري الى أن الله جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم فنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة، فكفروا وتولوا، فأنزل الله بهم نقمتة(3) ولكن هذا الرأي مردود عليه فلا يجوز أن يراد قرية مقدرة على هذه الصفة، بل لابد من وجودها لقوله تعالى : «ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون»(4) (النحل113/16).

وعلى أية حال، فان كان هنا، استعملت للدلالة على الزمن الماضي وهي الدلالة التي يؤيدها سياق الآية الدال على أن الكلام ينصرف الى قريـــة فـــي

---

1 - البحر 153/6.
2 - البحر المحيط لابن حيان 542/5.
3 - الكشاف 431/2.
4 - البحر 542/5.

الأولين.

ومنه قوله تعالى : «ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات»(التغابن/6 64)، فقد انصرفت "كان" هنا للماضي اذ جاء واقعة في سياق يوحي بذلك، وهو قوله تعالى في الآية التي قبلها : «ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم» غير أن تفسير بعض المفسرين لهذه الآية يجعلها للماضي القريب، فهم يذهبون الى أن قوله تعالى «ألم يأتكم نبأ الذين كفروا» خطاب لكفار مكة، وذلك اشارة الى الويل الذي ذاقوه في الدنيا(1) غير أن هذا التوجيه يبعده قوله تعالى «كانت تأتهم رسلهم» حيث ان الرسل انما كانت ترسل في الأمم الأولين، أي أن كان هنا تصرف الى الماضي البعيد، يقول الزمخشري وهو يشرح هذه الآية : «كانت تأتيهم رسلهم» أنكروا أن تكون الرسل بشرا ولم ينكروا أن يكون الله بشرا.

ومن الآيات التي جاءت فيها "كان" دالة على الماضي لفظا ومعنى، قوله تعالى : «وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين»(الانبياء11/21) وقوله تعالى : «قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه»(الممتحنة4/60) وقوله عز وجل : «يا أخت هارون ما كان أبوك إمرأة سوء وما كانت أمك بغيا»(مريم28/19)، وقوله سبحانه وتعالى : «أم تقولون إن إبراهيم واسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا ونصارى»(البقرة140/2)، ومنه قوله عز وجل : «وضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وإمرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين»(التحريم/10 66).

ومنه ذلك قوله تعالى : «إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيئون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأخبار بما استحفظوا من كتاب

1 - التفسير الكبير للامام الرازي 23/30.

الله وكانوا عليه شهداء»(المائدة44/5).

بقوله تعالى : «وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قوما فاسقين»(الذاريات46/ 51).

وقوله سبحانه وتعالى : «يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين»(يوسف37/12).

وقوله عز وجل : «وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه»(البقرة143/28).

ومنه قوله تعالى : «فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغافلين وأمطنا عليهم مطرا فكيف كان عاقبة المجرمين(الاعراف84/7).

وقوله تعالى : «لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب»(يوسف111/12).

"كان" والدلالة على الحاضر :

على الرغم من أن كان تفيد الماضي في غالب الأحوال كما يذهب النحاة، اذ هي عندهم تدخل على المبتدأ والخبر لتخبر أن ذلك وقع فيما مضى(1) أقول، على الرغم من كل ذلك، فاننا وجدنا أنها تفيد الحاضر، وتتخلص من الدلالات الزمنية الأخرى ذلك قوله تعالى : «كنتم خير أمة أخرجت للناس»(آل عمران110/3) اذ يذهب أغلب المفسرين الى أن "كنتم" بمعنى "أنتم"، واذا أردنا أن نترجم هذا الرأي، الى معنى زمني، فاننا نجد أن شرحه المناسب المعادل له هو الزمن الحاضر، يقول الفراء : «كنتم خير أمة».

"ومعنا في اللوح المحفوظ : أنتم خير أمة الى أن يقول".... فاضمار كان

1 - المقتضب للمبرد.

في مثل هذا، واظهارها سواء"(1)، أي أن كان هنا تجرد من الأزمنـــة الأخرى، وتنصرف الى الزمن الحاضر، وفي ذلك يقول أبو حيان... ولايراد بها (أي بكان) هنا الدلالة على الزمن الماضي وانقطاع التعيينة.. بالأصح أنها كسائر الافعال تدل على الانقطاع ثم قد تستعمل حيث لايرادا لانقطاع(2).

ومن الآيات التي جاءت فيها "كان" دالة على الحاضر قوله تعالى : «واذكروا اذ كنتم قليلا فكثرتم»(الأعراف86/5) اذ يذهب الفراء الى أنها جاءت للحاضر، فهي عنده في معنى : «واذكروا إذا أنتم قليل مستضعفون في الأرض»(الانفال26/8) لأن "اظمار" "كان" واظهارها في مثل هذا سواء(3)، وهو رأي يكاد ينفرد به الفراء اذ نجد أن معظم المفسرين يشرحون الآية حسب دلالتها الزمنية الظاهرية، من ذلك الشرح الامام الفخر الرازي الذي يجعل كان تنصرف الى الماضي اذ معنى الآية عنده ان الله سبحانه وتعالى : كثر عددكم بعد القلة، وكثركم بالغنى بعد الفقر وكثركم بالقدرة بعد الضعف، الى أن يقول: "ذلك أنهم كانوا فقراء، أو ضعفاء، فهم بمنزلة القليل، في أنه لايحصل من جودهم قوة وشوكة..... والدليل على ذلك هو قوله تعالى : «وانظروا كيف كا عاقبة المفسدين»(الاعراف86) اذ هي اشارة قاطعة الى وقوع الحدث في الزمن الماضي لأن الآية عنده : تذكروا عاقبة المفسدين وما لحقهم من الخزى والنكال،(4) ولعل الفراء انما جعل "كنتم" في الآية للحاضر، ظنا منه بأن السياق الذي وردت فيه يفيد استحضار الحال، أي استحضار حاله، أو صورة معينة من الماضي وتصويرها وكأنها تقع في الحاضر، ومنه قوله تعالى : «وما جعلنا القبلـة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرســـول، ممـــن ينقلب على

---

1 - معاني القرآن للفراء 229/1.

2 - البحر المحيط 28/3، وقد ذهب بعضهم : ان كنتم بمعنى صبتم.

3 - انظر المصدر السابق ودراسات أساليب القرآن الكريم للأستاذ عبدالخالق عضمة القسم الثالث ج1 ص349 معاني القرآن للفراء 229/1.

4 - التفسير الكبير للامام الرازي 175/14-176.

عقبيه»(البقرة143/2).

"فكنت" هنا عند بعض المفسرين للدلالة على الحاضر لاغير، فالقبلة في الآية : الكعبة، كنت بمعنى : أنت تماما مثل قوله تعالى : «كنتم خير أمة» فيصبح معنى الآية عند ابن عباس، وما جعلنا القبلة التي أنت عليها.

غير أن أبا حيان يوجه هذا الرأي توجيها دلاليا حتى يبتعد عن الغاء كان في الاعراب والمعنى ولذلك علق على تفسير ابن عباس بقوله «وهذا من ابن عباس أن صح تفسير معنى لاتفسير اعراب لأنه يؤول الى زيادة "كان" الرافعة للاسم والناصبة للخبر، وهذا مالم يذهب اليه أحد والرأي عنده أن تكون "كان" بمعنى "صار" لأن من صار الى شيء اتصف به صح من حيث المعنى نسبة ذلك الشيء اليه، فاذا قلت صرت عالما أن تقول، أنت عالم، فأنت تخبره بشيء هو فيه(1) فكان تفسير ابن عباس "لكنت" بـ "أنت" هو من قبيل تجميل "كان" معنى صار، التي تتضمن معنى "أنت" وما يهمنا من هذا كله هو أن المفسرين متفقون على أن "كنت" في الآية جاءت للدلالة على الحاضر.

كان "دالة" على ماضي المستقبل

وردت كان في القرآن على زمن خاص، لا هو بالمستقبل الخالص ولا هو ينصرف الى الحاضر، أو الى الماضي، وانما يدل على أن احداثا وقعت وستقع سيتحدث عنها في المستقبل فعندما تقول لابنك «سيقول لك المعلم كنت مهملا في العطلة الماضية» فمعنى ذلك أن قول المعلم لم يحدث بعد، بل سيتحقق في المستقبل وأن كون الابن مهملا يكون أمرا مقضيا في زمن مخاطبة المعلم للتلميذ فـ "كنت" في المثال جاءت دالة على ماضي المستقبل والشكل التالي بين الموقع الزمني للفعلين "يقول" و "كنت".

1 – البحر المحيط 423/1-424 وانظر دراسات لأساليب القرآن الكريم لأستاذ عبدالخالق عضمة القسم الثالث ج1 ص343.

الماضـــي	المستقبـــل	المستقبل القريـــب	المستقبل البعيـــد
كنـــــت	مهمـــــلا	سيقـــــول	

مـــاضـــي المستقبـــل

فمن ذلك قوله تعالى : «قالوا انا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم»(الطور52/27,26).

اذ ان سياق الآية يوحي بأنها في مجملها تدل على المستقبل البعيد هي الاحداث التي ستقع يوم القيامة. أما أنها تدل على المستقبل وعلى يوم القيامة، فلقوله تعالى : في أول السورة «يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا»(الطور52/9).

ولقد رأينا أن المراد بـ "يوم" في القرآن يوم القيامة غير أن "كان" جاءت لتدل على احداث ماضية بالنسبة لهذا الزمن البعيد (زمن يوم القيامة) وبذلك يمكن القول : ان كان دلت على أحداث دنيوية تستوعب كا الأزمنة الدنيوية، فتنطلق من الماضي الدنيوي السحيق الى المستقبل الممتد الى نهاية حياة الانسان على هذه الارض ولذلك جاءت قبل لتدل على أن هذه الكينونة حدثت في ماضي ذلك الزمان(1).

وتتضح الدلالة الزمنية الحقيقة للفعلين الواردين في الآية من خلال هذا الشكل.

الماضـي	الحاضـــر	المستقبل القريب	المستقبـــل البعيـــد
مـــاضـــــي	المستقبـــــل		فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون (يوم القيامة)

1 – انظر شرح الآية في الكشاف 25/4 والبحر المحيط 154/8.

ومنه كذلك قوله تعالى : «قال ربِّ لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا»(طه125/20) وقد جاءت هذه الآية في سياق يدل على يوم القيامة (وهو استقبال بعيد)، فقد جاء بعد قوله تعالى : «ومن يعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونشره يوم القيامة أعمى»(طه124/20) و (حشرتني) في الآية هو من قبيل الافعال الماضية لفظا الدالة على المستقبل معنى، غير أن كنت جاءت لتدل على ماضي هذا المستقبل، فزمن كنت هنا هو زمن الحياة الدنيا وهو زمن يصبح يوم القيامة ماضيا، قال الزمخشري وهو يشرح هذه الآية ومعنى لم حشرتني أعمى : اي لاحجة لي، وقد كنت عالما بحجتي، بصيرا بها، أحاج عن نفسي في الدنيا، لذلك قال الله سبحانه وتعالى : «كذلك أتتك اياتنا فنسيتها، وكذلك اليوم تنسى» أي أتتك آياتنا (في الدنيا) فلم تنظر اليها بعين المعتبر، ولم تبصر وتركتها وعميت عنها(1).

والشكل التالي يبين الموقع الزمني للفعل كنت.

الماضي	الحاضر	المستقبل القريب	المستقبل البعيد
ماضي المستقبل			لم حشرتني أعمى
كنت	بصيرا		

ومن الايات التي جاءت فيها كان دالة على ماضي المستقبل، قوله تعالى : «قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين»(الاعراف37/7).

وقوله تعالى : «ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا»(النبأ40/78).

وقوله تعالى : «انا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب

1 - البحر المحيط لأبي حيان 287/6.

السوم»(الطور26/52)

وقوله عز وجل : «إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار»(غافر47/40).

وقوله تعالى : «فلما رأو بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين»(غافر84/40)

ومنه كذلك قوله تعالى : «قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين»(القلم29/68).

كان" والدلالة على المستقبل

رأينا عند دراستنا لزمن "فعل" أن هذه الصيغة تأتي للدلالة على الاستقبال في سياقات معينة وبما أن "كان" فعل يتمتع بالخصائص الزمنية التي يمتلكها الفعل، فقد وجدنا ونحن ندرس استعمال "كان" في القرآن الكريم -أنها تدل في موافق معينة على ما يستقبل من الزمن على غرار "فعل".

ومن الايات التي جاءت فيها "كان" دالة على الاستقبال قوله تعالى : «يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا»(المزمل14/73) وانما جاءت "كان" دالة على الاستقبال بفضل السياق الذي وجدت فالمراد بـ "يوم" في قوله تعالى (يوم ترجف) يوم القيامة وهو اليوم الذي تحدثت عنه الآيتان السابقتان(13,12) في قوله تعالى : «ان لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما»(المزمل12/73) في معنى الآيتين عند المفسرين : ان لدينا في الآخرة ما يضاد في تنعمهم في الدنيا ويوم تتعلق بالقول السابق فهو منصوب في قوله تعالى : «ان لدينا انكالا وجحيما» أي تنكل بالكافرين وتعذبهم(1) وبذلك يصبح المعنى الزمني لكان في الآية هو "يوم ترجف الأرض

1 - الكشاف 177/4 والتفسير الكبير للامام الرازي 181/30.

ويوم تكون الجبال كثيبا مهيلا"

ومنه قوله تعالى : «وفتحت السماء فكانت أبوابا سرابا»(النبأ/20,19 78) فكان هنا تدل على المستقبل على الرغم من أنها جاءت بصيغة الماضي فهي ماضي لفظا دالة على الاستقبال معنا فهي واقعة في حيز زماني استقبالي، دلت عليه الآيات السابقة في قوله تعالى : «عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون»(النبأ18/3,2,1.)، وقوله تعالى في الآيات التالية «ان يوم الفصل كان مقاتا يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا»(النبأ78/18,17).

فالنبأ العظيم الذي كان يتساءل عنه أهل مكة هو يوم البعث فالحديث ينصرف اذا الى المستقبل، زمن يوم القيامة(1) والمراد (بيوم الفصل) و (يوم ينفخ في الصور) "اليوم الذي تنتهي الدنيا عنده"(2) وبذلك ينصرف زمن "كان" الى المستقبل زمن يوم القيامة الذي تحدثت عنه الآية. قال الزمخشري وهو يشرح معنى قوله تعالى (فكانت سرابا)،".... يعني أنها تصير شيئا كلا شيء لتفرق أجزائها، وانبثاث ظواهرها"(3).

والشكل التالي يقرب المعنى الزمن لكان في الآية السابقة.

الماضي	الحاضر	المستقبل القريب	المستقبل البعيد
			يوم ينفخ في الصور فكانت أبونا فكانت سرابا زمن يوم القيامة

1 - الكشاف 177/4 والتفسير الكبير للامام الرازي 181/30.
2 - الكشاف 208/4.
3 - المصدر نفسه.

ومنه قوله تعالى : «ويطاف عليهم بآنية من فصة وأكواب كانت قواريرا»(الانسان15/76) فقد جاءت "كانت" في الآية دالة على الاستقبال لأنها واقعة في سياق عام دال على المستقبل البعيد هو الدار الآخرة أما أن السياق دال على الاستقبال فلقوله تعالى في ايات سابقة : «أنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم»(الانسان10/76) ومعنى "كانت" عند المفسرين هو يكون في قوله تعالى كن فيكون، أي تكونت قواريرا بتكوين الله فكأنه أوجدها(1).

ومنه قوله تعالى : «يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا»(الانسان7/76)

اذ جاءت كان هنا لتدل على المستقبل البعيد كذلك هو يوم القيامة من قوله تعالى : «يخافون يوما» فان الامام الرازي (قال : كان مستطير، ولم يقل سيكون شره مستطير (لأن) اللفظ وان كان للماضي الا أنه بمعنى المستقبل(2).

ومن الآيات التي جاءت فيها كان دالة على الاستقبال قوله تعالى : «فاذا جاء وعد ربي جعله دكا وكان وعد ربي حقا»(الكهف98/18)

وقوله تعالى : «وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة»(الواقعة7/56).

وقوله عز وجل : «فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان»(الرحمن37/55)

قوله تعالى : «ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون»(يس29/36)

وقوله تعالى : «ويسقون فيها كأسا كان مزاجا زنجبيلا»(الانسان17/76)

---

1 - التفسير الكبير للامام الرازي 249/30 والبحر المحيط 397/8.
2 - التفسير الكبير للامام الرازي 247/30.

"كان" والدلالة على الزمن العام

أشار المفسرون والنحاة الى هذا المعنى المتميز الذي تدل عليه "كان" في مواطن في القرآن الكريم، لأن كان عندهم (عبارة عن وجود الشيء في زمن ماض على سبيلا الابهام) وليس فيه دليل على عدم سابق، ولا على انقطاع طارئ(1) اذ غالبا ما تأتي "كان" بمعنى الدوام، والاستمرار نحو (كان الله غفور رحيما). ونحو قوله تعالى : (وكنا بكل شيء عالمين) كل ذلك يأتي في معنى لم يزل كذلك قال : السيوطي، وعلى هذا المعنى (أي معنى الأزلية) تتحرج جميع الصفات الذاتية المقترنة بـ "كان"(2) غير أن بعضهم يذهب الى أن الاستمرار المستفاد في قوله تعالى : «وكان الله سميعا بصيرا» لا فضل فيه لـ "كان" وانما هو مستفاد من قرينة وجوب كون الله سميعا بصيرا(3) وهو رأي يتجه الى تجريد "كان" من الزمن وتحويل السياق الآية عن المعنى المراد لأن كان هي التي تفضي المعنى الزمني علي الآية وتجعل صفات الله أزلية من حيث امتدادها في الزمن ماضيا ومستقبلا (ولو قلنا : الله سميع بصير لكان مجرد اخبار) ومن دلالات "كان" على الزمن العام في القرآن الكريم قوله تعالى : «سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله مقدورا»(الاحزاب38/33) فـ "كان" هنا لايمكن صرفها للماضي وحده أو للمستقبل وحده، وانما هي تستغرق جميع الزمنة الممتدة من الماضي الى الحاضر- الى المستقبل. لأن أمر الله كان وسيظل قدرا مقضيا وحكما مثبوتا(4). ومعنى "كان" أمر الله عند أبي حيان : مأموراته الكائنات من أمره فهي مقدورة وبما أن مأمورات الله لايحدها زمن، فان "كان" في الآية تستوعب جميع الازمنة(5) ومن ذلك قوله تعالى : «واتقوا

---

1 - الكشاف 400/1.

2 - الاتقان في علوم القرآن للسيوطي 168/1.

3 - شرح الرضي للكافية 272/2.

4 - البحر المحيط لأبي حيان 28/3.

5 - البحر المحيط لأبي حيان : 28/3.

الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا»(النساء1/4) اذ لايمكن أن تنصرف "كان" في الآية الى زمن معين، لأن رقابة الله لعباده لايحدها زمان، قال أبو حيان وهو يشرح الآية : «لايراد بـ "كان" تفيد الخبر، بالمخبر عنه في الزمن الماضي المنقطع في حق الله تعالى. وان كان موضوع كان ذلك، بل المعنى على الديمومة، فهو تعالى رقيب في الماضي وغيره علينا»(1).

ومنه كذلك قوله تعالى : «ان الله كان عليما كبيرا»(النساء34/4) حيث أن العلو والكبر من صفات الله الأزلية، ولا يمكن أن تدل كان الا على الزمن الأزلي المناسب للمقام بقول أبوحيان : ختم الله تعالى الآية بصفة العلو والكبر لينبه على أن المتصف بذلك حقيقة هو الله تعالى(2).

ومنه قوله تعالى :«وكان أمر الله مفعولا»(الاحزاب27/33).

حيث يستفاد من شرح المفسرين لملابسات الآية أن كان هنا لاتنحصر بزمن معين على الرغم من أنها نزلت في مناسبة محددة (فكان أمر الله مفعولا) "يعني وكان أمر الله الذي يريد أن يكونه مفعولا لا محالة لأن المراد هو نفي الحرج عن المؤمنين -كافة- في اجراء أزواج المتبينين مجرى أزواج المبنين في تحريمهن عليهم بعد انقطاع علائق الزوج بينهم وبينهم"(3) "كان" في الآية تدل على الزمن العام الدال على الازمنة الثلاثة : الماضي، الحاضر، المستقبل، وقد تأتي "كان" مسبوقة بـ من الشرطية فتدل على الزمن العام كذلك من ذلك قوله تعالى : «فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر»(البقرة/184 2) لأن كان هنا جاءت في سياق تشريعي يشمل كافة المسلمين في جميع الأزمنة فـ "كان" في الآية لاتدل على الماضي فقط أو الحال فقط وانما دلالتها الزمنية الى آخر أمد في هذه الحياة، حيث يقسر أبوحيان يجعل فيه هذا

1 - المصدر نفسه 159/3.
2 - المصدر نفسه : 243/3.
3 - الكشاف 264/3.

التركيب يفيد مطلق المرض ومطلق السفر زمنا وقصدا(1).

ومن الآيات التي جاءت فيها : "كان" دالة على الزمن العام

قوله تعالى : «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا»(الاحزاب21/33) (كان المقصودة هنا الثانية في الاية).

وقوله عز وجل. «ان تبدوا شيئا أو تخفوه فان الله كان بكل شيء عليما»(الأحزاب54/33).

وقوله تعالى : «وكان عهد الله مسؤولا»(الاحزاب15/33).

وقوله تعالى : «ولاتطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليما حكيما»(الاحزاب1/33).

وقوله سبحانه تعالى : «ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما».الاحزاب73/33).

«والله جنود السماوات والأرض وكان الله عزيزا حكيما»(الفتح7/48).

«وأخرى لم تقدوا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا»(الفتح21/48).

وقوله تعالى : «أفمن كان على بينة من ربه»(محمد14/47).

وقوله تعالى : «وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى»(فاطر18/35)

---

1 – البحر المحيط لأبي حيان 32/2.

وقوله تعالى : «ولاتعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا»(يونس61/10).

ومنه قوله عز وجل : «ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر»(البقرة228/2).

كان بمعنى "صار"

التفت المفسرون الى هذا المعنى الزمني الخاص الذي تفيده "كان" بحيث تنزاح عن معناها الأصلي وتفيد معنى "صار" أي تفيد التحول من حال الى حال حسب الزمن الذي ترد فيه، وذلك في مثل قوله تعالى : «وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول»(البقرة143/2).

ونحو قوله تعالى :

«الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين»(البقرة34/2) اذ يرى المفسرون أن كان في الآيتين جاءت بمعنى "صار"(1) قال أبوحيان وهو يعقب على قول ابن العباس في أن كنت في الاية الأولى بمعنى "أنت" كقوله تعالى : (كنتم خير أمة»(آل عمران110/33) قال وهذا من ابن عباس أن صح تفسير معنى لاتفسير اعراب لأنه يؤول الى زيادة "كان" الرافعة للاسم والناصبة للخبر، وهذا لم يذهب اليه أحد وانما تفسير للاعراب على هذا التقدير، ما نقله النحويون أن كان تكون بمعنى "صار" ومن صار الى شيء واتصف به صح من حيث المعنى نسبة ذلك الشيء اليه، فاذا قلت صرت عالما، صح أن تقول أنت عالم، لأنك تخبر عنه بشيء هو فيه، فتفسير ابن عباس كنت بأنت من هذا القبيل(2)، أي أن كنت جاءت بمعنى صار التي مؤداها في المعنى النهائي المستخلص أنت، أما من حيث الاعراب والدلالة الزمنية فان كان تبقى دالة على

---

1 – الاتقان في علوم القرآن للسيوطي 168/1. والبحر 423/1-424.

2 – المصدر نفسه.

التحول من حال الى حال. وكذلك الاية الثانية وهي قوله تعالى : «واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس استكبر وكان من الكافرين»(البقرة134/2)

فإن بعض المفسرين يرجحون أن تكون "كان" في الآية بمعنى "صار"، فاما أن تكون "كان" بمعنى "صار" واما على بابها "أي كان في علم الله لأنه لاخلاف أنه كان عالما بالله قبل كفره، فالمعنى أنه كان فعل الله سيكون من الكافرين(1) لان اعتبار كان دالة على الماضي يفضى الى أنه وجد قبله جمع من الكافرين حتى يكون هو بعضا له.

فمعنى الآية اذا عند بعض المفسرين أنه صار من الذين وافقوه في الكفر بعد ذلك..... فقد كان ابليس مؤمنا، وانما كفر لاستكباره واعتقاده كونه محقا في ذلك التمرد(2)، فمعنى كان عند المفسرين في الآية "صار" صار من الكافرين بعد ما كان مؤمنا ومن ذلك قوله تعالى : «فأنجيناه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين»(الأعراف83/7).

اذ يبدوا من شرح المفسرين للآية أن "كانت" الواردة فيها قد جاءت بمعنى "صار" لأن معنى (من الغابرين) من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا، اذ كانت قبل ذلك كافرة موالية لأهل سدوم(3)، فمعنى كانت من الغابرين : أي أصبحت (أو صارت من الهالكين ومنه قوله تعالى : «ان كيد الشيطان كان ضعيفا»(النساء76/4).

فكان هنا كذلك يمكن أن يكون لها مدلول "صار" قال أبوحيان : ودخلت كان في قوله (كان ضعيفا) اشعار بأن هذا الوصف سابق لكيد الشيطان وانه لم يزل

---

1 - البحر 154/1.

2 - المصدر نفسه والتفسير الكبير للامام الفخر الرازي 238/2.

3 - الكشاف 92/2-93 والبحر 335/4.

ضعيفا وقيل : هي بمعنى "صار"، أي صار ضعيفا بالاسلام(1)، وفي قوله تعالى : «ولولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين»(البقرة64/2)

يحتمل أن تكون "كان" دالة على الصيرورة ويكون معنى الآية، لولا فضل الله عليكم لصرتم من الخاسرين(2) ومن الايات التي جاءت فيها كان بمعنى صار قوله تعالى :

«واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغابرين»(الانفال175/7).

وقوله تعالى : «أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المختصر»(القمر31/54).

يكون ودلالتها الزمنية

وردت يكون في القرآن دالة على جميع الأزمنة التي تدل عليها مثل هذه الصيغة في الأفعال الأخرى.

ومن دلالات "يكون" على الماضي قوله تعالى : «قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا»(مريم4/19).

وقد جاءت "أكون" مسبوقة بقرائن لفظية متعددة تدل على الماضي فالأفعال "وهن" و "اشتعل" أفعال ماضية لفظا ومعنى و "لم" من الحروف الجازمة التي تصرف زمن الفعل المضارع الى المضي، وقوله تعالى على لسان سيدنا زكرياء لم أكن بدعائك ربي شقيا، نفي للشقاء فيما مضى من حياته، قال أبوحيان : "ولم أكن نفي فيما مضى : أي ما كنت بدعائك رب شقيا، بل كنت سعيدا

1 - البحر 296/3.
2 - البحر 246/1.

موفقا اذ كنت مجيب دعائي فأسعد بذلك"(1).

ومن دلالات يكون المسبوقة بـ "لم" على الماضي قوله تعالى :

- «أولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا»(مريم67/19).

ومن ذلك قوله تعالى : «وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا»(مريم14/19).

ومنه كذلك قوله تعالى : «هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا»(الانسان1/17)

وقوله تعالى : «فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم يكن معكم وان كان للكافرين نصيب»(النساء141/4)

"يكون" والدلالة على ماضي المستقبل

وردت "يكون" في مواطن كثيرة من القرآن الكريم دالة على ماض خاص، اذ غالبا ما ترد مسبوقة بـ "لم" الدالة على قلب الزمن الى الماضي ولكنها تأتي مدرجة في سياق استقبالي أي أنها تدل على زمن يكون قد مضى بالنسبة لأحداث ستقع في المستقبل وذلك في مثل قوله تعالى : «أو لم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال»(ابراهيم44/14).

حيث نجد أن الآية واقعة في سياق استقبالي يدل عليه قوله تعالى في الآية السابقة : «يوم يأتهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل»(ابراهيم43/14)

غير أن قوله تعالى : «لم تكونوا أقسمتم من قبل» تركيب يدل على زمن مضى وبذلك يكون موقعه الزمن الحقيقي هو : ماضي المستقبل واذا أردنا ترجمة هذا المعنى الزمني الى مثال أكثر وضوحا قلنا أن المعنى الزمني للآية هو

1 - البحر المحيط لأبي حيان 173/6.

كأن الله سبحانه وتعالى : «سيقول لهم يوم القيامة أو لم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال»(1).

والرسم التالي يوضح العلاقة بين الماضي الذي دل عليه الاستقبال الذي دل عليه السياق.

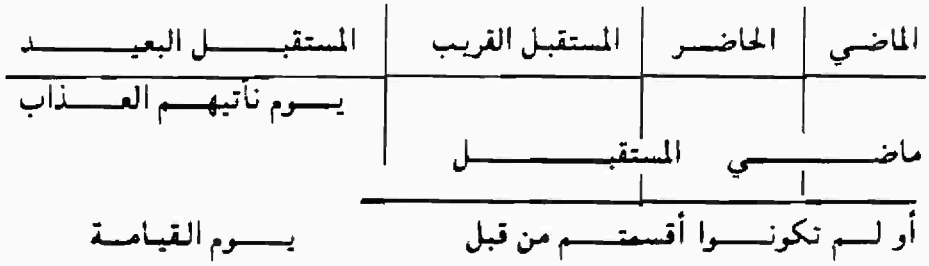

ومن ذلك قوله تعالى : «قالوا ألم نك من المصلين»(المدثر43/74)

اذ نجد أن التركيب "ألم نك" يدل على ماض المستقبل الذي تشير اليه الآيات السابقة وذلك في قوله تعالى : «كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر...»(المدثر42/74).

1 - انظر الكشاف 383/2.

فالآية تتحدث عن مستقبل بعيد هو زمن الدار الآخرة "ولم نك" تجعل الحدث ينصرف الى ماضي هذا المستقبل، الزمن الدنيوي والعلاقة بين الزمنين يبينهما الرسم التالي :

الماضي	الحاضر	المستقبل القريب	المستقبل البعيد
ماضي لم نك من	المستقبل ـــــــ المصلين ـــــــ		في جنات يتساءلون عن المجرمين.

الزمن الدنيوي — زمن الدار الآخرة

ومنه قوله تعالى : «قالوا بل لم تكونوا مؤمنين»(الصافات29/36)

أي لم تكونوا مؤمنين في الحياة الدنيا "فتكونوا" للماضي ولكنه الماضي الذي يمتد الى المستقبل البعيد لأن الآية جاءت في سياق استقبالي هو قوله تعالى في الآيات السابقة «هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون»(21/20/36).

وقوله تعالى في آيات تالية :

«وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون»(27/36)، وهي الآيات التي تصور أحداثا ومشاهد تقع في الدار الآخرة في التركيب «لم نكونوا مؤمنين» تدل على ماضي المستقبل تفصل قرينتين الأولى أن تكونوا "سبقت بلم" الدالة على الماضي الثانية أن هذا التركيب جاء في سياق استقبالي.

"يكون" دالة على المستقبل

تأتي "يكون" دالة على المستقبل في القرآن بفضل قرائن عديدة من تلك القرائن "يوم" الدالة على يوم القيامة كما رأينا وذلك في قوله تعالى : «يوم تكون السماء كالمهل»(المعارج8/7) : حيث تدل "يكون" في الآية على المستقبل البعيد، هو زمن الدار الآخرة وهذا حسب السياق الذي ورد فيه "يوم تكون"، هو قوله تعالى «سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج تعرج والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فاصبر صبرا جميلا انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا»(المعارج6,5,4,3,2,1/7) فالآية كما نرى تصور مشاهد من الدار الآخرة وكيف تكون السماء والجبال، مما يصرف تكون الى المستقبل البعيد.

ومن بين تلك القرائن :سوف" في قوله تعالى : «فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إنه لايفلح الظالمون»(الانعام135/6)، فـ "تكون" هنا جاءت مسبوقة بسوف الدالة -غالبا- على ما يستقبل من الزمان كما جاءت في سياق الحديث عن الدار الآخرة، حيث يزداد عاقبة الدار : «العاقبة الحسنى خلق الله تعالى : هذه الدار لها"(1) وذلك لأن العاقبة تكون على الكافر ولاتكون له(2) والمهم أن "تكون" جاءت للاستقبال البعيد بفضل التركيب والسياق الذين وقعت فيهما.

ومنه قوله تعالى : «فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون»(الانفال/7 8).

وقد جاءت هذه الآية بعد قوله تعالى : «ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله» مما يفيد أن الذين كفروا سنفقون أموالهم في المستقبل

---

1 - الكشاف 52/2.

2 - التفسير الكبير للامام الرازي 203/13.

القريب أي أن تكون عاقبة إنفاقها حسرة في هذه الزمن ثم يغلبون آخر الأمر من المعرفيين فيكون هنا جاءت للدلالة على المستقبل القريب.

ومن القرائن اللتي تجعل "يكون" دالة على الاستقبال، لا الناهية في قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذ ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندما ما ماتوا وما قتلوا»(آل عمران/156/3).

فتكونوا في الاية مسبوقة بـ "لا" الناهية، والنهي لايكون الا للمستقبل، وسياق الآية يوحي بهذا الاتجاه الزمني اذ ذكر في هذه الآية مايدل على النهي عن أن يقول أحد من المؤمنين مثل مقالتهم، فقال : يأيها الذين آمنوا : لاتقولوا لمن يريد الخروج الى الجهاد : "لو لم تخرجوا كما متم....."(2) فزمن "لا تكونوا" زمن استقبالي دنيوي. ومن الآيات التي جاءت فيها "يكون" دالة على الاستقبال قوله تعالى : «كلا سيكفرون بعيادتهم ويكونون عليهم ضدا»(مريم82/19).

وقوله تعالى : «ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف»(آل عمران104/3)

ومنه قوله تعالى : «ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين»(يونس95/1).

«وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين»(105/10).

وقوله عز وجل : «ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات»(آل عمران105/3).

---

1 - الكشاف 156/2.

2 - انظر التفسير الكبير للامام الرازي 52/9 والكشاف 473/1.

ومنه قوله تعالى : «لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين»(الزمر65/39).

وقوله تعالى : «قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهرا للمجرمين»(القصص17/28)..

"يكون" والدلالة على الزمن العام :

وردت "يكون" في سور عديدة من القرآن غير مقيدة بزمن معين بحيث جاءت دالة على معنى زمني يستوعب جميع المراحل الزمنية، وغالبا ما تكتب هذه الدلالة لتفصيل قرائن تسبقها أو سياقات تكتنفها من ذلك قوله تعالى :

«إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا»(الاسراء25/17). فـ "تكونوا" في الآية لاتقف عند زمن محدد، حيث جاءت مسبوقة وبأداة شرط دالة على عامة الناس فهي كل زمان ومكان.

قال أبوحيان وهو يشرح : (ان تكونوا صالحين) "أي ذوي صلاح ثم فرط منكم تقصيرا في عبادة، أوبر، وأبيتم الى الخير، فانه غفور لما فرط من هناتكم، والظاهر أن هذا عام لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها، ويندرج فيه من جنى على أبويه، ثم تاب من جنايته"(1).

ومن ذلك قوله تعالى : «أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة»(النساء78/4).

حيث نجد أن "تكونوا" جاءت مسبوقة بـ "أينما" التي تدل على عموم الزمان أيضا. "فقد جاءت وتكونوا" باخبار من الله بأنه لاينجو من الموت أحد "(2) : قال أبوحيان : "وأينما تدل على العموم، وكأنه قيل في أي مكان تكونون فيه

1 - البحر المحيط 29/6 وانظر الكشاف 446/2.

2 - انظر البحر لأبي حيان 299/3 وانظر التفسير الكبير للامام الرازي 187/10.

أدرككم الموت". وقوله "في أي مكان" يفضي به الى القول "وفي أي زمان"، فالتركيب "أينما تكونوا" يدل على عموم الزمان وليس مختصا بزمن معين.

ومنه قوله تعالى : «من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها»(النساء/85/4).

يستفاد من شروح المفسرين لهذه الآية وما بعدها أنها حكم عام يشمل كافة المسلمين، مهما اختلفت أزمنتهم وأماكنهم، قال الزمخشري وهو يشرح الآيتين : «الشفاعة الحسنة هي التي روعي فيها حق مسلم ودفع بها عنه أو جلب اليه خيرا وابتغى به وجه الله، ولم يأخذ عليها رشوة وكانت في أمر جائز لا في حد من حدود الله، ولا في حق من الحقوق(1) وقال مجاهد والحسن وابن زيد وغيرهم فيما كتبه أبو حيان : "هي في حوائج الناس فمن يشفع لتقع فله نصيب، ومن يشفع لضر فله كفل"(2).

فـ "تكن" في الآية وان كانت جوابا للشرط الا أنها جاءت دالة على زمن عام وانما جاءتها هذه الدلالة الزمنية من كونها واقعة في جواب شرط فعل دال على زمن عام، وهو قوله تعالى "من يشفع".

ومن الآيات التي جاءت فيها "تكون" دالة على الزمن العام قوله تعالى : «ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد»(النساء4/12).

وقوله تعالى : «فان لم يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما»(النساء4/135).

وقوله عز وجل : «وان يكن ميتة فهم فيه شركاء»(الأنعام6/139).

ومنه كذلك قوله تعالى : «ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا»(النساء4/138).

---

1 - الكشاف 549/1.

2 - البحر المحيط لأبي حيان 309/3.

وقوله تعالى : «والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الأ أنفسهم»(النور6/29).

وقوله عز وجل : «لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد»(الاخلاص4/112).

ومن ذلك قوله تعالى : «قل لا أجد فيما أوحي الىّ محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا»(الانعام145/6).

ومنه قوله تعالى : «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم»(الاحزاب36/33).

دلالة "كن" الزمنية :

من المواضع التي جاءت فيها "كن" في سياق دال على زمن ماض، قوله تعالى : «قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم»(الأنبياء69/21) وهو ماض لأنه جاء بعد قرينة لفظية هي قوله تعالى "قلنا" الماضية لفظا وعنى ولأننا نعلم أن الحديث ينصرف الى نبي الله سيدنا ابراهيم عليه السلام الذي عاش في زمن سحيق" وكيف فزع منها (عن النار) طبعها الذي طبعها عليه من الحر لأحراق وأبقائها على الاضاءة والاشتعال"(1).

ومن دلالات "كن" على الماضي، قوله تعالى : «خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون»(آل عمران59/3)

وقوله عز وجل : «قلنا لهم كونوا قردة خاسئين»(البقرة65/2).

وقوله تعالى : «فخذ ما أتيتك وكن من الشاكرين»

ومن دلالة "كن" على الاستقبال قوله تعالى : «ويوم يقول له كن فيكون»(الأنعام73/6)

---

1 – الكشاف 78/1.

وقد علمنا أن يكون في القران تصرف ما بعدها الى زمن استقبالي هو زمن القيامة. فزمن "كن".

في الآية هو زمن استقبالي بعيد يدل عليه قوله تعالى بعد ذلك : يوم ينفخ في الصور "ولاشبهة أن المراد منه يوم الحشر"(1)، وقد فسر الزمخشري هذه الآية تفسيرا يجعل زمن الآية لمطلق الاستقبال، الذي يدل على الزمن القريب والبعيد يقول : "واليوم بمعنى الحين، والمعنى أنه خلق السماوات والأرض قائما بالحق والحكمة وحين يقول لشيء من الاشياء كن فيكون ذلك الشيء"(2).

مهما اختلف المفسرون في تفسير الآية فان زمن "يكن" يبقى على دلالات كن على الاستقبال قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله»(النساء135/4).

«يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين»(التوبة119/9).

ونحو قوله تعالى : «فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين»(الحجر98/15).

«بل الله فاعبد وكن من الشاكرين»(الزمر66/39).

ومن دلالات "كن" على الزمن العام قوله تعالى :

«واذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون»(البقرة117/2) حيث جاءت "كن" في سياق زمني عام دلت عليه "اذا" الظرفية الدالة على عموم الزمن والمعنى الزمني للآية هو ما يذهب اليه الزمخشري في أن معنى كن فيكون هو : "أن ما اقتضاه من الأمور وأدركوا فيه، فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولاتوقف(3)، وقد أفاض صاحب التفسير الكبير في شرح هذا المعنى

1- التفسير الكبير للامام الرازي 33/13.
2 - الكشاف 29/2.
3 - الكشاف 307/1.

الزمني بما يشفي غليل المستزيد(1).

ذلك قوله تعالى : «انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون»(النحل40/16) :

«انما أمره اذ ا أردنا شيئا أن يقول له كن فيكون»(يس82/36)

ومن الدلالات الزمنية الذاتية لأخوات "كان" في القرآن، زمن أصبح في قوله تعالى : «قل أرأيتم ان أصبح ماأكم غورا فمن يأتكم بماء معين»(الملك30/67) فقد جاء زمن "أصبح" زمنا عاما غير مقيد بزمان محدود اذا المعنى "أخبروني ان صار ماؤكم ذاهبا في الأرض فمن يأتكم بماء معين"(2). لأن "ان" الشرطية هنا تدل على عموم الزمان وينسحب هذا الزمن على "أصبح" فتكتسب الدلالة نفسها.

وقد جاءت أصبح دالة على الماضي في قوله تعالى : «فقتله فأصبح من الخاسرين»(المائدة30/5)

وقوله تعالى : «فأصبح فؤاد أمّ موسى فارغا»(القصص10/28)

وقوله عز وجل : «فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا»(آل عمران/103 3).

وقوله عز وجل : «قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين»(المائدة102/5).

غير أن "أصبح" في هذه الايات جميعها لاتدل على المضي فقط وانما تدل بالاضافة الى ذلك -على الصيرورة والتحول من حال الى حال.

---

1 - التفسير الكبير للامام الرازي 26/4.

2 - التفسير الكبير للامام الرازي 76/30.

ومنها كذلك زمن "ظل" في قوله تعالى : «واذا بشر أحدكم بالانثى ظلّ وجهه مسودا وهو كظيم»(النحل85/16).

حيث نجد أن "لظل" في الآية زمنين، زمنا عاما أضفاه عليها سياق الآية وأداة الظرف "اذا" الدالة على عموم الزمن وزمنا آخر ذاتيا. هو اتصاف اسمها بمعنى خبرها طول النهار أي أنها في هذه الآية دلت على اسوداد الوجه طول النهار(1).

ويرجع هذه الدلالة الزمنية لظل في الآية "أن أكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مربد الوجه من الكآبة والحياء من الناس"(2)، ويجوز أن تكون هنا "ظل" بمعنى "صار"(3). بأنه يتحول وجهه من صفته العادية الى صفة السواد.

ومن الايات التي جاءت فيها "ظل" دالة على المعنى الزمني السابق قوله تعالى : «وانظر الى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا»(طه97/20).

وقوله تعالى : «ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين»(الشعراء4/26).

ومن الدلالات الذاتية لأخوات "كان" زمن "مازال" وذلك في قوله تعالى : «فما زلتم في شك مما جاءكم به»(غافر34/40).

وعندما ندرس الجوانب الزمنية لـ "مازال" في الآية نجد أنها وقعت في سياق قصصي دال على زمن ماضي بعيد هو زمن يوسف عليه السلام، غير أنها تدل على زمن آخر هو الاستمرار لأنها تدل على مصاحبة الصفة للموصوف منذ كان

---

1 - شرح الرضي للكافية 293/2.
2 - الكشاف 414/2.
3 - المصدر نفسه.

قابلا لها(1)

وهذا المعنى نفسه الذي دلت عليه "مازال" في الآية يقول الزمخشري وهو يشرح هذه الآية : «بأن يوسف أتاكم بالمعجزات فشككتم فيه ولم تزالوا شاكين حتى اذا قبض قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا»(2).

فزمن "مازال" في الآية هو المضي والاستقبال.

ومن الدلالات الزمنية لـ "مادام" قوله تعالى : «ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤدى اليك إلا ما دمت عليه قائما»(آل عمران75/3).

فزمن "مادام" في الاية جاء مطابقا لما ذهب اليه النحاة من أنها تفيد الاستمرار. استمرار المعنى الذي قبلها مدة محددة هي مدة ثبوت معنى خبرها، واستمرار ذلك في الزمن الماضي الى الاخبار عنه(3).

حيث يشرح المفسرون الآية : "منهم من يكون معترفا بما دفعت اليه مادمت قائما على رأسه بالاجتماع معه والملازمة له..... فان أنظرت وأخرت أنكر"(4).

ومن ذلك قوله تعالى : «لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السماوات والأرض الأ ما شاء ربك».

وقوله تعالى : «وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم»(المائدة117/5).

وقوله عز وجل : «قالوا يا موسى انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها»(المائدة24/5).

---

1 - القانون في النحو للجزولي ص46.
2 - الكشاف 426/3.
3 - التفسير الكبير للامام الفخر الرازي 101/7.
4 - شرح الرضي على الكافية 290/2، والبحر 498/2.

وقوله سبحانه وتعالى : «وحرّم عليكم صيد البر ما دمتم حرما»(المائدة/96 5).

وقد رأينا -ونحن نختم هذا الفصل- أن نعطي بعض اللّمحات عن ورود كان في القرآن الكريم وعن دلالتها واستعمالاتها الغالبة.

يقول الدكتور ابراهيم أنيس ان ما يربوا على 400 من الآيات اشتملت كل منها على الفعل كان..... غير أنا لا نكد نلحظ بوضوح معنى المضي في الفعل "كان" الا في عدد قليل من تلك الايات(1).

وقد وجد بعد ذلك الاستاذ عبدالخالق عظيمة أن "كان" وأخواتها في القرآن بلغت قرابة(1500) ألف خمسمائة(92.غير أن غرضنا نحن من استقراء "كان" في القرآن الكريم ليس مجرد اعطاء فكرة عامة أو عدد تقريبي لـ "كان" وانما نريد الوقوف بالاحصاء الفعلي على الدلالة الزمنية الغالبة (والأقل ورودا) لـ كان في آيات القرآن الكريم.

فقد وجدنا أن عدد كان في القرآن بكل صيغها ومشتقاتها بلغت 1354).

وأن عدد "كان" التي خبرها اسم مفرد (في نحو قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما» بلغ 790 منها 244 مرة بصيغة "يكون".

والجدول الموالي (في الصفحة التالية) يوضح توزيع كان المفردة (التي خبرها اسم مفرد وتدل ذاتيا على الزمن) على المراحل الزمنية المختلفة، وقد سبق لنا في الفصل الأول أن رصدنا سلوك "كان" التي خبرها جملة فعلية وأحصينا دلالتها الزمنية المتعددة.

---

1 - من أسرار اللغة العربية للدكتور ابراهيم أنيس ص160.

2 - دراسات لأسلوب القرآن القسم الثالث الجزء الأول ص333.

جدول يبين دلالات كان ونسبها في المراحل الزمنية المختلفة

الماضي	الحاضر	مستقبل الماضي	ماضي المستقبل	المستقبل	الزمن العام	مجموع الصيغ
171	06	03	14	21	331	546
31,31 النسبة المئوية	1,09 النسبة المئوية	0,549 النسبة المئوية	02,546 النسبة المئوية	03,84 النسبة المئوية	60,62 النسبة المئوية	

وعند دراستنا لهذا الجدول نجد أن دلالة "كان" لاتقتصر على الماضي فقط وانما تدل على جميع الأزمنة المختلفة بنسب متفاوتة. كما نلاحظ أن دلالتها "كان" على الزمن العام هي النسبة الغالبة وذلك لأن "كان" استعملت كثيرا في القرآن استعمالا أزليا. خصوصا عندما تستند الى اسم الجلالة في نحو "كان الله غفورا رحيما، وكان الله سميعا بصيرا.... الخ "كما يكثر استعمالها مع أدوات الشرط في نحو قوله تعالى : «وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة.... الخ». وغالبا ما تدل أدوات الشرط على عموم الزمن.

أما القول بأن كان "لا تدل على الماضي الا في آيات قليلة(1)" فرأى يناقض ما كشفته الارقام في الجدول المبين، اذ نجد أن ثلث هذا القبيل من كان استعمل

1 – من أسرار اللغة العربية للدكتور ابراهيم أنيس ص160.

في الماضي. وغالبا ما تأتي مثل هذه الدلالة لـ "كان" في سرد قصص الانبياء في نحو قوله تعالى «وكان في المدينة تسعة رهط»، (وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا....).

ويجب أن نلاحظ في الأخير أننا اعتمدنا في تحديد المراحل الزمنية غالبا على كتب التفسير والسياق القرآني وكثيرا ما يختلف المفسرون في تحديد زمن الصيغة مما يجعلنا لا نقطع بدقة الأرقام المبنية في الجدول، ونبقي فصل هذه الاحصاءات كامنا في اعطاء صورة واضحة عن دلالات كان الزمنية وفق اجتهاد المفسرين وتوجيه الباحث لهذه الآراء.

وهذا جدول آخر يبين المراحل الزمنية التي يدل عليها "يكون" في القرآن الكريم مع نسبها المئوية.

الماضي	الحاضر	مستقبل الماضي	ماضي المستقبل	المستقبل	الزمن العام	مجموع الصيغ
45	03	15	06	112	63	244
18.44 النسبة المئوية	1.23 النسبة المئوية	06.15 النسبة المئوية	02.46 النسبة المئوية	45.90 النسبة المئوية	25.82 النسبة المئوية	النسبة المئوية

نلاحظ أن "يكون" جاءت دالة بذلك على مختلف مراحل الأزمنة بما في ذلك

الدلالة على الزمن الماضي على الرغم من النحاة يجعلونها خاصة بالدلالة على الحاضر والاستقبال. كما نجد أن الدلالة الغالبة لـ "يكون" هي المستقبل وهذا كشف يساير رأى النحاة في دلالة هذه الصيغة على الاستقبال، أما الدلالة على الحاضر فنجد أن "يكون" في القرآن تقفز من الماضي الى المستقبل عبر الحاضر ولذلك قلت نسبة ورودها فيه، كما كشف الجدول أن الدلالة على الزمن العام تغطي نسبة هامة من مجموع الصيغ (الربع تقريبا) ولعل مرد ذلك الى أن "يكون" كثيرا ما تستعمل مع أدوات الشرط الدالة على عموم الزمن وذلك في قوله تعالى : «أن تكونوا صالحين فانه كان للأوابين غفورا، أينما تكونوا يدرككم الموت.....الخ».

- ولم تكتف "يكون" بالدلالة على المراحل الزمنية الكبرى وانما دلت كذلك على الأزمنة الاعتبارية (السياقية) التي يقتضيها الأسلوب القرآني (مستقبل الماضي. ماضي المستقبل) وذلك في نحو قوله تعالى : (لا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الضالمين).